مفهوم الاعتبار دراسة مصطلحية في السياق القرآني

فادي عبدالله محمود عبيدات*

ملخص

يتناول هذا البحث مفهوم مصطلح الاعتبار في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وذلك ببيان مفهوم المصطلح وأهمية الدراسة المصطلحية في فهم مصطلحات القرآن الكريم، ودراسة ورود مصطلح " الاعتبار" واستعمالاته في القرآن الكريم وفي المعاجم اللغوية.

وتم استقراء موارد المصطلح في القرآن الكريم ثم وصف صيغ الاشتقاق وتحليل شكل ورود المصطلح ثم تحليل معانيه الجزئية المتضمنة في كل مورد وبيان الدلالات المترتبة على كل صيغة من خلال السياق الذي وردت فيه.

Apology Meaning: Terminological Study in the Qura' anic Context

Fadi Abdullah Obeidat

Abstract

This study addresses the meaning of apology construct in the holy Qur'an: through showing the constructs meaning, the importance of terminological studies in understanding the holly Qur'an construct (etymology) ,the study of its occurrence in the holly Qur'an ,and its uses in linguistic dictionaries, occurrences of the term in the holly Qur'an were first inducted followed by derivative forms description ,analysis of the form in which the term occurred ,as well as analyzing its particular meanings included ,in every occurrence ,and finally showing Connotations resulting from each form through the context in which they occur.

* كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك.

تاريخ تقديم البحث: 2014/10/28م. تاريخ قبول البحث: 2015/5/21م.

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2016م.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن تولاه وبعد:

فإن القرآن الكريم أكمل كتاب، ضم كليات الشرائع وأنواع الأوامر والنواهي، والاستفادة منه مستمرة مع الأيام والأزمان، ولا يحيط به عالم ولا ينال منه مخاصم.

وقد جاء القرآن الكريم مبينا للمقاصد والأهداف التي طلب الله من عباده تطبيقها وقرّب إليهم فهمها، وإن مما يقتضيه تطبيق هذه الأوامر فهم ألفاظ القرآن وإدراك معانيه، ولا يتسنى ذلك إلا لمن ملك مفتاح الفهم من خلال تحليل المصطلحات القرآنية ودراستها وإدراك معانيها.

وقد جاء هذا البحث قاصداً الكشف عن أحد المصطلحات القرآنية؛ ليبين مفهومه، ويكشف عن أسراره، ألا وهو مصطلح الاعتبار.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تأتي أهمية الموضوع من حيث إن مسألة خلود القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان من أجلّ القضايا المعاصرة التي يوليها الباحثون اهتمامهم، ولا بد أن يناسب تطبيقه جميع الفئات بمختلف الأزمان؛ ليتم من خلال هذا التطبيق حفظ الشريعة، ولا يتم ذلك إلا بفهم ألفاظ القرآن ومصطلحاته فهماً عميقاً، ويكون ذلك بدراستها وبيانها وفهم دلالاتها وأبعادها.

وقد جاء اختياري لهذا الموضوع للأسباب التالية:

1. إيجاد دراسة قرآنية تبرز مصطلح الاعتبار.
2. دور هذا المصطلح في تجلية بعض الحقائق الأخرى التي تنبني عليه وتتصل به.
3. القيمة الكبيرة التي تمتلكها المصطلحات القرآنية بشكل عام ومصطلح الاعتبار بشكل خاص.
4. كون هذا الموضوع يأتي من خلال الدراسة المصطلحية، وهو علم مستحدث برز في عصرنا الحاضر.

أهداف الدراسة

1. بيان مفهوم الاعتبار واشتقاقاته وما يتعلق به في السياق القرآني.
2. بيان الدلالات التي يؤديها كل شكل من أشكال المصطلح في السياق القرآني.
3. الكشف عن بعض لطائف القرآن الكريم والإفادة من توجيهاته وتعاليمه من خلال الدراسة المصطلحية لمفهوم الاعتبار في القرآن الكريم.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي وذلك من خلال استقراء الآيات الواردة في موضوع البحث.

2- المنهج الموضوعي: من خلال جمع الآيات التي تشترك في الموضوع ودراستها دراسة موضوعية.

3- المنهج التحليلي، وذلك بعرض الآيات القرآنية وتحليلها تحليلاً مناسباً لأغراضها؛ لاستخراج ما فيها من معانٍ ونتائج.

وبناء على ذلك جاء تقسيم البحث كالآتي:

مقدمة تشمل أهمية الموضوع ومحدداته، والجديد المرجو منه، ومفهوم الدراسة المصطلحية، ومفهوم المصطلح، وأهمية الدراسة المصطلحية.

المبحث الأول: مفهوم مصطلح الاعتبار في المعاجم والاصطلاح القرآني.

المبحث الثاني: الصيغ التي وردت لمفهوم "الاعتبار" في القرآن الكريم ودلالاتها.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

التمهيد

مفهوم الدراسة المصطلحية.

لا بد لأي بناء من أساس متين يقوم عليه، وهذا هو حال الدراسة المصطلحية التي كان المصطلح أساسها وكان له أثر بالغ في تحديد هوية العلوم وضبط معالمها – اللغوية، والفلسفية، والمعرفية – وتجلية صورتها، وإبراز ما فيها من نتائج للإفادة منها بما يسهم في التطوير والتنمية لمختلف المجالات الإنسانية.

قال البوشيخي: "المصطلح عنوان المفهوم، والمفهوم أساس الرؤية، والرؤية نظارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي، بأحجامها وأشكالها وألوانها الطبيعية[1]2".

والمصطلحية: "علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها[3]".

ونظراً لهذه الأهمية حازت الدراسة المصطلحية اهتمام الباحثين حتى لقد شكَّلت ميداناً مستقلاً يخوض غماره المتخصصون ليصبح المصطلح علماً قائماً بذاته يقدم نتائج طبيعية للوصول إلى حقائقها وحيثياتها، وهنا لا بد لنا من وقفة تبين مفهوم المصطلح وموضوع الدراسة المصطلحية وأهميتها ومنهجها.

أولا: تعريف المصطلح:

كلمة مصطلح هي مصدر ميمي من الفعل (اصطلح) المشتقة من الجذر (صلح) والتي تؤدي معنى ضد الفساد، قال ابن فارس: "الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على

خلاف الفساد"[4]، والصلاح من الصلح الذي هو بمعنى الاتفاق، قال في اللسان: "والصلح تصالح القوم بينهم"[5].: واصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف واتفقوا على الأمر وتعارفوا عليه[6].

والاصطلاح: مصدر اصطلح ويعني الاتفاق، وهو اتفاق طائفة على شيء مخصوص[7].

ويعرف بأنه: عبارةٌ عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

وهو أيضا: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما.

وقيل: هو اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى. وعرّف أيضاً: بأنه إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد.

ومن معانيه أيضا: لفظٌ معين بين قوم معينين[8].

والمصطلح: "هو كل وحدة لغوية دالة ، مؤلفة من كلمة أو من كلمات متعددة وتسمى مفهوما محددا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما" [9].

وهو: اللفظ أو الرمز اللغوي الدال على مفهوم معين في علم أو فن أو أي عمل ذي طبيعة خاصة [10].

ويذكر الدكتور حجازي أن أفضل تعريف أوروبي للمصطلح هو: "مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحدد في وضوح وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة وواضح إلى أقصى درجة ممكنة وله ما يقابله في اللغات الأخرى ويرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري "[11].

ومما سبق نجد أن الاصطلاح والمصطلح بمعنى واحد ويفيد: الاتفاق للدلالة على معنى معين.

ثانيا: علم المصطلح (المصطلحية):

لقد وضع العلماء مجموعة من التعريفات لعلم المصطلح فمنهم من عرفه بقوله: هو: " العلم الذي يقوم على استخراج اصطلاحات نص من نصوص علم ما، وتحليل استعمالاتها، ثم تعليل معانيها، وتصنيفها بحسب شواهد النص نفسه، من أجل تعريف المفاهيم التي تدل عليها تلك المصطلحات "[12].

ومنهم من قال هو: "علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها"[13].

والمصطلحية: "دراسة ميدانية لتسمية المفاهيم التي تنتمي إلى ميادين مختصة من النشاط البشري باعتبار وظيفتها الاجتماعية" [14].

ويعرّف أيضا بأنه: "العلم الذي يتخذ من مصطلحات العلوم موضوعا له وفق منهج خاص بغرض تبيين وبيان مفاهيمها في التاريخ والواقع معا "[15].

وهو أيضا: "العلم الذي يدرس الواقع الدلالي، من حيث مفهومه وخصائصه المكونة له، وفروعه المتولدة عنه، ضمن مجاله العلمي المدروس به"[16].

ومن خلال التعريفات السالفة يتبين أن الدراسة المصطلحية منهج علمي جامع ومنضبط له أصول ثابتة يبين المعاني الذاتية للمصطلح وما يتعلق به من ضمائم واشتقاقات ويهدف إلى بيان المفاهيم ودلالاتها.

ثالثا: أهمية الدراسة المصطلحية:

تظهر أهمية الدراسة المصطلحية في كونها مفتاحاً يحل المفردات والتراكيب ويبين محتواها، يقول البوشيخي: لكن ما مفتاح هذا المفتاح (يعني ألفاظ القرآن) الذي يحل المفردات والمركبات؟ إنَّه الدراسة المصطلحية لتلك الألفاظ، إنه دراسة ألفاظ القرآن الكريم في الكتاب والسنة وفق منهج الدراسة المصطلحية"[17]. وبذلك يكون الشرع وعلومه ميدانا لهذه الدراسة وأشرفها مصطلح القرآن[18]. ويعد القرآن الكريم الأصل للكثير من المصطلحات التي تشكل ميادين مختلفة للعلم[19].

إن فهم ألفاظ القرآن الكريم يتوقف على دراستها، فهي المفتاح لفهم ما أراده الله تعالى، وهو ما ذكره البوشيخي: تحت عنوان: ألفاظ القرآن الكريم هي المفتاح: قال: "ولا سبيل إلى فقه النسق، أو المفاهيم المكونة له، بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم، فهي مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – قرآنا وسنة[20]....."

وبذلك يبرز الأثر الكبير لدراسة ألفاظ القرآن الكريم من هذا الجانب وما يترتب عليه من نتائج.

المبحث الأول: مصطلح الاعتبار في المعاجم والاصطلاح القرآني:

أولا: مفهوم الاعتبار في اللغة:

ورد الاعتبار ومشتقاته في معاجم اللغة تحت الجذر "ع ذ ر" قال ابن فارس[21]." الْعَيْنُ وَالذَّالُ وَالرَّاءُ بِنَاءٌ صَحِيحٌ لَهُ فُرُوعٌ كَثِيرَةٌ، مَا جَعَلَ اللَّهُ – تَعَالَى – فِيهِ وَجْهَ قِيَاسٍ بَتَّةَ، بَلْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَلَى نَحْوٍ وَجِهَتِهَا مُفْرَدَةٌ".

1- (الْعذر) بضم العين وسكون الذال الْحجَّة الَّتِي يعْتَذر بهَا (جمعه) أعذار(عذر) أَي هئنتتة خروجٌ مِنَ الذَّنْبِ، وعذر فلَان عذراً كثرت ذنُوبه وعيوبه وعذر فلان فُلَانًا فِيمَا صنع عذرا ومعذرة رفع عَنهُ اللوم فِيهِ [22].

2- (عذر) بفتح العين وتشديد الذال تكلّف الْعذر وَلَا عذر لَهُ، وعَذَّرَ فِي الأَمر: قَصَّر بَعْدَ جُهْد. والتَّعْذِيرُ فِي الأَمر: التقصيرُ فِيهِ.، وعَذّرَ الرَّجُلُ، فَهُوَ مُعَذّرُ إِذا اعْتَذَرَ وَلَمْ يأْت بِعُذرٍ. وعَذَّرَ: لَمْ يَثْبُتْ لَهُ عُذْرٌ[23]، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) (التوبة90) بِالتَّثْقِيلِ؛ هُمُ الَّذِينَ لَا عُذْرَ لَهُمْ وَلَكِنْ يتكلَّفُون عُذْراً.

3- (أعذر) بزيادة الهمزة فلَان ثَبت لَهُ، ويَكُونُ أَعْذَرَ بِمَعْنَى اعْتَذَر اعْتِذَارًا يُعْذَرُ بِهِ وَصَارَ ذَا عُذْرٍ مِنْهُ[24].

4- (اعتذر) والاعتبار: قطعُ الرجلِ عَنْ حَاجَتِهِ وقطعُه عَمَّا أَمْسَك فِي قَلْبِهِ،ومَحْوُ أَثر المَوْجِدة وَيُقَال اعتذر من ذَنبه وَاعْتذر عَن فعله تنصل وَاحْتج لنَفسِهِ وَصَار ذَا عذر والمُعْتَذِرُ يَكُونُ مُحِقّاً وَيَكُونُ غَيْرَ مُحِقٍّ[25].

5- (تعذر) بتشديد الذال عَن الْأَمر تَأَخّر، وَاحْتج لنَفسِهِ، وتعذر عليه الْأَمر شقّ وتعسر ولم يستقم[26].

6- (المعذرة) الْحجَّة أو الستر (جمعها) معاذر ومعاذير[27].

ويظهر للناظر في مفهوم الاعتبار ومشتقاته في المعاجم اللغوية أنه جاء تحت لفظ عذر وأن المعاني المتفرعة عنه كثيرة ومتشعبة ولكني اقتصرت على المعاني التي لها علاقة بموضوع البحث وهذا الاستخدام المتعدد في المعاجم يبين غنى مصطلح الاعتبار بالمشتقات والمعاني، فمصطلح الاعتبار في اللغة واسع الدلالة يسمح باستعماله في جوانب متعددة ويجوز التعبير به عن مواقف مختلفة.

وإننا بحاجة هنا إلى ضبط هذا المصطلح لغوياً وإيجاد رابط مشترك يمكن أن تأوي إليه جميع المعاني اللغوية المنبثقة عن جذر المصطلح (عذر) المستخدمة للدلالة على مضمونه لبيان الوجه في استعمال هذه المعاني الكثيرة وقوتها في الانتساب إلى أسرتها في مفهومها اللغوي وصلاحها للتعبير بها عن هذه المعاني جميعا.

وإذا أمعنا النظر في المشتقات المنبثقة عن الجذر ومعانيها اللغوية نجد أنه من الممكن الجمع بينها وإظهار الرابط الذي تنتظم به جميعا.

إن مفهوم الاعتبار في اللغة راجع إلى معنيين رئيسيين وإليهما ترجع المعاني الأخرى فترتبط بهما وتنبثق عنهما وهما:

المعنى الْأَوَّلُ: المحو والإزالة وبيان ذلك: أَنَّ الاعتبار عِبَارَةٌ عَنْ مَحْوِ الذَّنْبِ وإزالة أثره، ويجوز القول: اعْتَذَرَتِ الْمَنَازِلُ إِذَا دَرَسَتْ. فالاعتبار هنا هُوَ الدَّرْسُ والزوال وَأَخْذُ الاعتبار مِنْهُ. لِأَنَّ الْمُعْتَذِرَ يُحَاوِلُ إِزَالَةَ أَثَرِ ذَنْبِهِ[28].

والى هذا الأصل ترجع جميع المعاني المرتبطة بالمحو والإزالة فهي منبثقة عنه وملتصقة به لا تغادره.

وأما المعنى الثَّانِي: وهو أَنَّ الاعتبار معناهَ الْقَطْعُ والمنع، وبيان ذلك أن العذر هو السبب في منع صاحبه عن شيء ما وهو العائق الذي قطعه عن بلوغ مراده وحاجته وينبثق عن ذلك جواز استخدامه في التعبير عن أي مانع يحول دون الحاجة، فيُقَالُ مثلا: اعْتَذَرَتِ الْمِيَاهُ إِذَا انْقَطَعَتْ، فَالْعُذْرُ لَمَّا كَانَ سَبَبًا لِقَطْعِ اللَّوْمِ ومنعه سُمِّيَ عُذْرًا[29].

والى هذا الأصل تعود كل المعاني المرتبطة بالمنع والقطع.

وبذلك نجد أن المشتقات جميعها عائدة الى هذين الأصلين الإزالة والقطع أي أن المعتذر يحاول إزالة الذنب أو قطعه.

ثانيا: مفهوم الاعتبار في الاصطلاح:

لا بد لنا لمعرفة معنى الاعتبار اصطلاحا من الاستعانة بمن حاول بيانه من خلال وضع تعريف معين وكان من هؤلاء الراغب في مفرداته[30]. حيث قال في تعريفه:

العُذْرُ: تحرّي الإنسان ما يمحو به ذنوبه، وذلك على ثلاثة أضرب:الأول: أن يقول: لم أفعل. الثاني: أن يقول: فعلت لأجل كذا، فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنبا. الثالث: أن يقول: فعلت ولا أعود، ونحو ذلك من المقال. وهذا الثالث هو التّوبة، فكلّ توبة عُذْرٌ وليس كلُّ عُذْرٍ توبةً.

وعرّفه السيوطي أيضا فقال: "العذر: مَا يمْنَع وجود الْقَضَاء"[31].

وجاء تعريفه في المخصص بالعبارة التالية: العُذْر: "مَا أدليت بِهِ من حجّة تذْهب بهَا إِلَى إِسْقَاط المَلامة" [32].

ومما سبق نستطيع القول إن الدلالة الاصطلاحية للاعتذار تكشف عن مضمون التوبة والندم والسعي لرفع الملامة ومنع العقاب وهذا يبين مدى العلاقة والارتباط بين اللغة والاصطلاح في معنى الاعتبار، فالاستعمال الاصطلاحي منبثق ومتفرع عن الاستعمال اللغوي والمعجمي وهو عبارة عن امتداد له.

ثالثا: مفهوم الاعتبار في القرآن الكريم:

لقد ورد مفهوم الاعتبار في القرآن الكريم في اثني عشرَ موضعاً [33]، ولقد تتبعت هذه المواضع باحثاً عن معاني المصطلح في السياق الذي ورد فيه فوجدت أنها قد تعددت ومنها:

1- النهي عن الاشتغال بالاعتبارات الكاذبة: وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري عندما عرض لتفسير قوله تعالى: لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم، إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ [34]. قال الزمخشري لا تعتذروا: "لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم"[35]. وهنا يظهر أن استخدام المصطلح لم يكن مقصودا لذاته، وإنما جيء به للدلالة على وضوح ما ظنوا خفاءه وأسروه.

2- النهي عن الكلام الباطل وبهذا قال الرازي عندما فسر الآية السابقة قال: "لما كان الاستهزاء كفرا والإقدام عليه كفر كان عذرهم غير حقيقي فنهاهم الله عن الاعتبار به لأن المنع عن الكلام الباطل واجب فقال لا تعتذروا أي لا تذكروا هذا العذر في دفع هذا الجرم"[36]، والقول الباطل هو ما بنوا عليه اعتذارهم فبطل لذلك الاعتبار لبطلان الأصل الذي قام عليه، وفي ذلك إشارة واضحة أن الاعتبار لا يصدق مفهومه إلا إذا كان حقيقيا وصحيحا.

3- التوبيخ: وإلى هذا المعنى ذهب ابن عطية عندما فسر قوله تعالى: لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم [37]. قال والمعنى: "قل لهم يا محمد لا تعتذروا على جهة التوبيخ كأنه قال لا تفعلوا ما لا ينفع"[38].

4- وهذا المعنى مرتبط بسياقه الذي أخرجه عن معنى الاعتبار الحقيقي إلى معنى التوبيخ على أفعالهم المنبثقة عن الكفر وهنا يستخدم مفهوم الاعتبار لتجلية معنى الكفر.

5- عدم الإذن في الاعتبار كما في قوله تعالى: وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُو [39]. وإلى هذا ذهب الطبري[40]. والمعنى: ولا يؤذن لهم فيعتذروا مما اجترموا في الدنيا من الذنوب، فالمعنى المترتب على وجود المصطلح هنا هو نفي فرصتهم في تقديم أي إعتذار لليقين في عدم وجود عذر صادق فلا فائدة من وجود هذه الفرصة.

6- المدح كما في قوله تعالى: قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا [41]. قاله الرازي والزمخشري والمراد منه أن يمدحه بهذه الطريقة [42]، ومجيء المصطلح هنا دال على المدح لسعة الصدر والإمهال فلم يعد لموسى عليه السلام بعد ذلك عذر وإنما بلغ في ذلك النهاية.

7- الإعلام بالقبول: كما في قوله تعالى: (عذراً أو نذراً) [43] وبه قال ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية قال: "فالعذر: الإعلام بقبول إيمان المؤمنين بعد الكفر " وتوبة التائبين بعد الذنب"[44]، فدل المصطلح هنا على الإعلام بالقبول لمن كان ذا عذر صحيح يقبل منه.

8- الإعذار بمعنى قطع العذر: وإليه ذهب القاسمي عندما فسر الآية السابقة قال: "عذرا مصدرا بمعنى الإعذار أي إزالة العذر"[45]، فلا يقبل منهم ما جاءوا به من كلام باطل.

9- التقصير أو الاجتهاد: كما في قوله تعالى: وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ [46]. على أن الآية تحتمل المعنيين وإلى هذا ذهب الرازي وأبو السعود وابن عاشور عند تفسير هذه الآية[47]، وهنا يلحظ أن معنى الاعتبار قد يستخدم ويصح في المعنيين المتقابلين ولكل منهما تعليل وهذا مما يقوي من حضور هذا المصطلح وأن له ميزة لا تكون في غيره من المصطلحات.

10- إبداء العذر وإقامته – كما في قوله: قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [48]. وقد ذهب إليه السمرقندي والزمخشري وابن عطية[49]. والمعنى: "حتى نكون معذورين عند الله"، وورود هذه الصيغة هنا لتعليل الفعل الصادر عنهم وهو الوعظ، وقد حمل المصطلح هنا إبداء العذر والإشارة إلى وجوده وليس العذر ذاته.

11-الحجة التي يعتذر بها أو الستور التي يختبئ بها كما في قوله: وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيره [50]. وبه قال السمعاني والزمخشري والخازن[51]. والمعنى: فيه قولان أحدهما: ولو جاء بكل عذر وأدلى بكل حجة لا يقبل منه ذلك لأنه لا عذر له ولا حجة، والثاني: معاذيره: أي ستوره واحدها معذار، وكلا المعنيين ينسجم مع السياق فيجوز استخدام أي منهما واستخدام المصطلح هنا على حقيقته وهو امتداد لاستخدامه اللغوي في المعاجم.

12-الاعتبار بمعنى التوبة: وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيره [52] أَيْ يُقَالُ لَهُمْ: " لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِذِ الاعتبار هُوَ التَّوْبَةُ، وَالتَّوْبَةُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ بَعْدَ الدُّخُولِ فِي النَّارِ، فَلَا يَنْفَعُكُمُ الاعتبار" وهذا قول الرازي[53]، فلا توبة في ذلك الموقف لفوات وقتها ولم يستخدم معنى المصطلح هنا على حقيقته بل جيء به لبيان عدم قبول التوبة وفوات وقتها.

ومما سبق يتضح أن المعاني التي استخدم لها المصطلح في القرآن الكريم كانت مختلفة ومتفاوتة وأنه قصد به حقيقة الاعتبار في بعض الأحيان، وجيء به لتقرير معان أخرى في مواقف متعددة وذلك كله راجع إلى السياق الذي ورد فيه المصطلح ومدى قبوله للمعنى المنبثق عن المصطلح.

المبحث الثاني: الصيغ التي وردت لمفهوم "الاعتبار" في القران الكريم ودلالاتها.:

ويهدف ذلك إلى تحديد مفهوم الاعتبار في القرآن الكريم من خلال حصر صيغ الورود وبيان دلالاتها في السياق الذي وردت فيه ويكون ذلك من خلال الآتي:

1- استقراء موارد لفظ "الاعتبار" ومعرفة مواطنه وإحصاؤها ثم الوصف من خلال الصيغ الاشتقاقية التي ورد بها.

2- تحليل معطيات هذه الموارد من حيث الصيغ والحجم ثم تحليل هذه الموارد من حيث المعاني والدلالات.

أولا: الدرس الوصفي لموارد لفظ "الاعتبار" في القرآن الكريم:

ويقصد بذلك إحصاء مواطن وروده في آيات القرآن الكريم ومن ثم وصف أشكال الصيغ التي وردت به. وقد ورد لفظ الاعتبار في القرآن الكريم من خلال سبع صيغ وهي: (لا تعتذروا، يعتذرون، عذرا، المعذرون، معذرة، معذرتهم، معاذيره) وتكون في مجموعها اثني عشر موضعا[54]، وهذا الجدول فيه مزيد بيان:

الاشتقاق	حجم الورود	الاشتقاق	حجم الورود	الاشتقاق	حجم الورود
لا تعتذروا	ثلاث مرات	المعذرون	مرة واحدة	معاذيره	مرة واحدة
يعتذرون	مرتين	معذرة	مرة واحدة	------	-----
عذرا	مرتين	معذرتهم	مرتين	المجموع	12

وأهم ما يلاحظ من خلال هذا الاستقراء ظهور النتائج التالية:

1- إن مصطلح الاعتبار برز استخدامه في عدة مواضع من القرآن الكريم في السور الآتية (سورة التوبة الآيات 66و90 و94، سورة الأعراف 164، سورة الكهف 76، سورة الروم 57، سورة غافر52، سورة التحريم 7، سورة القيامة15، سورة المرسلات الآيات 6و36).

2- استخدم المصطلح في ثماني سور بنسب متفاوتة وكان الاستخدام الأكثر في سورة التوبة حيث ورد فيها أربع مرات موزعة على ثلاث آيات منها.

3- استخدم المصطلح مرة واحدة في كل من السور الكريمة الآتية[55]: الأعراف، الكهف، الروم، غافر، التحريم، القيامة، المرسلات.

4- يلاحظ بشكل واضح أن مصطلح الاعتبار استخدم في سور القرآن المكية والمدنية، ولكن استخدامه في المكية منها أكثر من المدنية حيث استخدم في سورتين مدنيتين فقط هما (التوبة، التحريم)، بينما استخدم في ست سور مكية هي: (الأعراف، الكهف، الروم، غافر، القيامة، المرسلات).

ثانيا: دلالات ومعاني موارد لفظ "الاعتبار" في القرآن الكريم:

لابد لمعرفة الدلالات والمعاني التي يحملها لفظ الاعتبار في القرآن الكريم من اتباع الآتي:

1- تحليل المعطيات المستفادة من إحصاء الموارد ووصفها.

2- تحليل الصيغ وأشكال ورود المصطلح.

ونبدأ بالخطوة الأولى: تحليل معطى الإحصاء ووصفها: إن أهم ما يلاحظ من خلال معطى الإحصاء الآتي:

1- حضور مصطلح "الاعتبار" في القرآن الكريم ضئيل جدا على مستوى القرآن والسور التي ورد فيها، وذلك إذا ما قيس بغيره من المصطلحات التي وردت بشكل كبير وقد أثر ذلك على بنيته المفهومية وندرة ضمائمه ومحدودية علاقاته، ومع ذلك كان له حضور بمفهومه ومعناه للأهمية التي يحتلها في بيان قضايا تتصل به مثل الكفر والإيمان .

2- ورود المصطلح داخل السور متفاوت حيث ورد في ست سور مكية وفي سورتين مدنيتين فقط مما يدل على أن أمور العقيدة والتمييز بين المؤمنين والمنافقين من أهم المتعلقات بموضوع الاعتبار لأن من المعلوم أن القرآن المكي يركز على الجانب العقدي والإيماني ويعد الاعتبار جزءا أساسيا في ذلك.

3- ورد المصطلح أربع مرات في سورة التوبة التي تضمنت الحديث عن المنافقين وأساليبهم وفضحت أسرارهم، ولورود المصطلح فيها بهذا الحجم دليل على أهميته واتصاله بموضوع السورة وهدفها وأنه الأصل في قبول توبة الصادقين والبراءة من المنافقين.

الخطوة الثانية: تحليل معطى شكل ورود المصطلح ودلالاته:

في تحليلنا للصيغ والأشكال الصرفية والاشتقاقية التي ورد بها المصطلح في القرآن الكريم تتجلى الملاحظ الآتية:

1- ورود المصطلح بصيغة المضارع المسبوق بلا الناهية (لا تعتذروا) في ثلاثة مواطن يدل على التنديد بالمنافقين وتهديدهم وعدم قبول الاعتبار منهم، والمعنى: كفوا أيُّها المنافقون عن طلب الاعتبار لأنه لن يقبل منكم والتعليل لعدم القبول هو نفاقكم واستهزاؤكم. والملاحظ أن الاعتبار

هنا ليس القصد منه حقيقته وإنما هو لتبرير إجرام المنافقين واستهزائهم، بل إن الاعتبر في حقيقته مزيد من الاستهزاء والكفر بعد الإيمان. والمحور الذي تدور حوله الآيات هو صفة المنافقين في دأبهم على الكذب ثم الاعتبار إذا افتضح أمرهم وبان جرمهم، فكان المراد هو إظهار الفعل الذي يقومون به واستمراريتهم فيه ثم توبيخهم عليه فكان التعبير بالمضارع مقترنا بالنهي هو المناسب لذلك المقام، ولا يتأتى هذا المعنى بصيغة أخرى.

قال ابن عاشور: "جملة لا تعتذروا ارتقاء في توبيخهم بأنهم تلبسوا بما هو أشد والمعنى: لا حاجة بكم للاعتذار عن التناجي فإنكم قد عرفتم بما هو أشنع. والنهي هنا للدلالة على التسوية وعدم الجدوى[56]. فلن يقبل اعتذاركم أبدا".

2- ورود المصطلح بصيغة المضارع (يعتذرون) في آيتين يدل على التجدد وتكريرهم الفعل قال ابن عاشور: "وصيغة المضارع هنا لِإِفَادَةِ التَّجَدُّدِ وَالتَّكْرِيرِ[57] فهم بعد كشف الله لهم وبيان حقيقتهم لم يمتنعوا أن يعتذروا كذباً ونفاقاً.

3- ورود المصطلح بصيغة المصدر النكرة (عذرا) في آيتين وهذا يدل على المدح والثناء في آية الكهف قال الرازي: "وَالْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّهُ يَمْدَحُهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنْ حَيْثُ احْتَمَلَهُ مَرَّتَيْنِ أَوَّلًا وَثَانِيًا"[58] ،وعلى قيمة هذا الاعتبار والإعلام بقبول توبة التائبين في آية المرسلات، قال ابن عاشور.:"فَالْعُذْرُ: الْإِعْلَامُ بِقَبُولِ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْكُفْرِ،وَتَوْبَةِ التَّائِبِينَ بَعْدَ الذَّنْبِ[59].

4- ورود المصطلح بصيغة اسم الفاعل المعرف بأل التعريف (المعذّرون) مرة واحدة وجيء بها هنا لأن الحديث عن الفاعل القائم بهذا الفعل، وتدل على صدور الاعتبار عنهم وتعلقه بهم.

5- ورد المصطلح بصيغة المصدر معذرة): وقد وردت هذه الصيغة مرة واحدة أدت في سياقها غرض التوبيخ لبني إسرائيل كلهم من خلال بيان مَظَاهِرِ عِصْيَانِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ وَقِلَّةِ جَدْوَى الْمَوْعِظَةِ فِيهِمْ وهذا معروف عند صلحائهم[60]. ويوحي هذا المصدر غير المعرف بمعنى القلة، أي: ليكون هذا الوعظ اعتذاراً ولو كان قليلا.

6- ورد المصطلح بصيغة المصدر المضاف (معذرتهم) في آيتين ودل على أَنَّ الْمَعْذِرَةَ وَاقِعَةٌ مِنْهُمْ. ثُمَّ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِضَافَةُ لِلتَّعْرِيفِ بِمَعْذِرَةٍ مَعْهُودَةً فَتَكُونُ هِيَ قَوْلُهُمْ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ[61]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّعْرِيفُ لِلْعُمُومِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَصْدَرِ الْمُضَافِ، أَيْ: لَا تَنْفَعُهُمْ

مَعْذِرَةٌ يَعْتَذِرُونَ بِهَا مِثْلَ قَوْلِهِمْ غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا [62] وَقَوْلِهِمْ هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا [63]، وجاءت هذه الصيغة وهي المصدر الميمي لتدل أنهم لا يجدون دفاعاً بغير الاعتبار[64].

7- ورد المصطلح بصيغة الجمع (معاذيره): وقد وردت مرة واحدة تفيد هنا معنى العموم في المعاذير قال ابن عاشور: ومَعاذِيرَهُ جَمْعٌ مُعَرَّفٌ بِالْإِضَافَةِ يَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ[65]، وهي أيضا تؤدي معنى الكثرة فدلت على أن المعاذير على كثرتها وتعددها لا تفيد.

ومما سلف يتضح لنا أن تغير شكل المصطلح يأتي بمعنى جديد وله في كل سياق دلالة مختلفة فكان استخدام مفهوم الاعتبار في القرآن الكريم لأداء معاني متعددة حسب السياق وهي متعلقة بمفاهيم أخرى.

الخاتمة:

يقتضي الكلام في الخاتمة في مسلك نحصل فيه الثمرة مما تقدم بصورة ترسم لنا التصور حول مفهوم مصطلح الاعتبار واستعماله في القرآن الكريم.

ويتلخص القول في هذا المسلك بنتائج تتعلق بمنهج البحث وتطبيقه وهي:

1- لقد تم النظر إلى مفهوم "الاعتبار" في القرآن الكريم، من خلال منهج الدراسة المصطلحية، وتتجلى فائدة ذلك في تحرير واقع البحث في المصطلح القرآني من القيود المذهبية والفكرية، وتعود بالمصطلح إلى مفهومه القرآني الخالص المعبر عن التصور القرآني، وخاصة إذا ما روعيت الخصوصية المنهجية في دراسة المصطلح القرآني، وكلمة "الاعتبار" خاصة وتطبيق إجراءاته عليه.

2- يتخذ مصطلح "الاعتبار" في القرآن الكريم معانيه من أصله اللغوي المذكور في المعاجم ويتشعب ليؤدي معاني جزئية مرتبطة به.

3- إن أهم ما يميز مصطلح " الاعتبار" في القرآن، كونه قليل الورود محدود الأبعاد مقارنة بغيره من المصطلحات الغنية بالمفاهيم، لكنه مع ذلك يتبوأ موقعا في تجلية البعد العقدي والعلمي للإسلام.

4- كشف تعريف مصطلح الاعتبار من جميع زواياه عن خصوبة كبيرة تجلت من خلال المعاني الاصطلاحية والاستعمال القرآني والدلالات المنبثقة عنها.

5- كشفت هذه الدراسة عن الموقع المعتبر الذي يحتله هذا المصطلح من خلال دخول مفهومه ضمن النظرة الإسلامية للأشياء.

وبناء على هذه النتائج يمكن القول إن الدراسة المصطلحية ذات صلة بمجالات اللغة والتفسير وهي من تراث هذه الأمة وهي بحاجة للحفاظ عليها وتطويرها مما يزيد في بيان المعاني القرآنية وإبراز سماتها التي لا تنضب، ومن أجل ذلك تلزم التوصية بالدراسات المصطلحية لمفاهيم القرآن العظيم وتوجيه الباحثين إليها.

الهوامش

(1) الشاهد البوشيخي، نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، ص 13.

(2) علي القاسمي، المصطلحية مقدمة في علم المصطلح، ص6.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، 303/3.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلح)

(5) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، 520/1.

(6) ابن منظور، لسان العرب، مادة صلح، الجوهري، الصحاح، 383/1، أبو منصور، تهذيب اللغة، 142/4.

(7) الجرجاني، التعريفات، 28/1.

(8) علي القاسمي، المصطلحية مقدمة في علم المصطلح، ص 215.

(9) حامد صادق القنيبي، مباحث في علم الدلالة والمصطلح، ص 9.

(10)محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 11.

(11)فريدة زمرد، مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف، ص26.

(12)علي القاسمي، المصطلحية مقدمة في علم المصطلح، ص6.

(13)المرجع السابق ص 217. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار، ص120.

(14)فريد الأنصاري، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، ص69.

(15)الشاهد البوشيخي، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، ص 8.

(16) انظر، الشاهد البوشيخي، نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، ص 24.

(17)انظر، فريدة زمرد، مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف، ص 79.

(18)الشاهد البوشيخي، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، ص 8.

(19)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 253/4-257.

(20)راجع مادة عذر في كل من: الرازي، مختار الصحاح، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ابن منظور اللسان، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الحموي، المصباح المنير.

(21)راجع مادة عذر عند كل من: ابن فارس معجم مقاييس اللغة،، ابن منظور اللسان، الحموي المصباح المنير، الفيروز آبادي القاموس المحيط ، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط.

(22) انظر مادة عذر في المعاجم التالية: الرازي مختار الصحاح، بن منظور اللسان، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط.

(23)انظر مادة عذر في كل من: ابن منظور اللسان، الحموي المصباح المنير.

(24)راجع المعاجم التالية في مادة عذر: الرازي مختار الصحاح، ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ابن منظور اللسان، الفيروز آبادي القاموس المحيط، الحموي المصباح المنير، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط.

(25) انظر مادة عذر عند: ابن منظور اللسان، الفيروز آبادي القاموس المحيط، مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط.

(26)ابن منظور اللسان، الفيروز آبادي القاموس المحيط.

(27)ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ابن منظور اللسان. الفيروز آبادي القاموس المحيط.

(28)انظر، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1/555–556. وانظر: الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج4/ 35–37، وانظر: أبو البقاء الكفوي،، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، 644/1، وانظر، المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف،239/1.

(29)السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، 213/1.

(30)ابن سيده، المخصص، 53/4.

(31)محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم، ص455 –456.

(32)سورة التوبة، الآية 66.

(33)الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج286/2، وانظر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج87/3.

(34)انظر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، 95/16.

(35)سورة التوبة، الآية 66 .

(36) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،، ج3 /55.

(37) المرسلات 36.

(38) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القران، 142/24.

(39) الكهف الآية 76.

(40) انظر الرازي، مفاتيح الغيب ج487/21، وانظر الزمخشري، الكشاف ج736/2.

(41) المرسلات 6.

(42) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 422/29.

(43) انظر، لقاسمي محاسن التأويل جـ 382/9 وانظر الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القران بالقران، ج 8 /400.

(44) سورة التوبة 90.

(45) انظر تفسير أبي السعود ج90/4 –91، وانظر الرازي، مفاتيح الغيب 120/16، وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير 292/10

(46) سورة الأعراف 164.

(47) انظر السمر قندي، بحر العلوم ج1 / 560، وانظر الزمخشري الكشاف ج171/2، وانظر ابن عطية المحرر الوجيز ج469/2.

(48) القيامة آية 15

(49) انظر،السمعاني، تفسير القران، ج105/6.

(50) وانظر الزمخشري الكشاف 4/ 661، انظر الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 371/4.

(51) سورة التحريم، الآية 7.

(52) الرازي، مفاتيح الغيب572/30.

(53) حسب ترتيب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، 455– 456.

(54) روعي الترتيب حسب المصحف الشريف.

(55) ابن عاشور، التحرير والتنوير 251/10–252.

(56) ابن عاشور، التحرير والتنوير 6/11.

(57) الرازي، مفاتيح الغيب487/21.

(58) ابن عاشور، التحريروالتنوير 29/422–423.

(59) انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير 9/150–152.

(60) الروم 55.

(61) المؤمنون 106.

(62) الأعراف 38.

(63) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 17/88.

(64) ابن عاشور، التحرير والتنوير 29/348.

(9)

(10)

(11)

(12)

(13)

(14)

(15)

(16)

(17)

(18)

(19)

(20)

(21)

(22)

(23)

24)

(25)

(26)

(27)

(28)

(29)

(30)

(31)

(32)

(33)

(34)

(35)

(36)

(37)

(38)

(39)

(40)

(41)

(42)

(43)

(44)

(45)

(46)

(47)

(48)

(49)

(50)

(51)

(52)

(53)

(54)

(55)

(56)

(57)

(58)

مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الحادي والثلاثون، العدد الرابع، 2016م.

(59)

(60)

(61)

(62)

(63)

(64)

(65)